# تاريخ الفن الصخري في الجزائر ( منطقة الهقار- الطاسيلي أنموذجا)

د. محمد رشدي جراية•

**الملخص:**

تعتبر الرسوم الصخرية من أهم السجلات الموثقة التي خلدت حياة الانسان البدائي في عصور ما قبل التاريخ وما زاد في قيمتها التاريخية هو توزعها على كافة القارات يكاد لا تخلو منها منطقة مر بها الإنسان القديم حتى الكهوف والمغارات.

الحقيقة أن هناك مناطق استفردت بهذه الرسوم من حيث كثرة العدد وتنوع المشاهد وتعاقب الأجيال و الأجناس و الجماعات ،و هنا نستحضر دون شك الرسوم الصخرية بالطاسيلي بصحراء الجمهورية الجزائرية حيث نعتبر هذه المنطقة بمثابة متحف مفتوح على العالم.

**الكلمات الدالة:**

الفن، الجزائر، الرسوم الصخرية، ما قبل التاريخ، الانسان البدائي، منطقة الهقار– الطاسيلي، جدران الكهوف ، المغارات، الصحراء،البقارة، الرؤوس المستديرة، النقوش ، الطابع الديني ، الجاموس ، الحصان و العربة.

• جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي الجمهورية الجزائرية med.rouchdi@gmail.com

**مقدمة:**

تتركز الرسوم الصخرية بالجزائر في أماكن متعددة أهمها على الإطلاق منطقتي الهقار والطاسيلي حتى أنه لكثرتها إعتبرها البعض متحفا كبيرا في الهواء الطلق،إذ تجاوزت رسومها الخمسة عشر ألف رسم ففي الطاسيلي ناجر توجد محطات الرسوم الكبرى في أعالي الهضبة الواقعة شمال وشمال شرق مدينة جانت و نذكر منها صفار ، جبارن ، تامريت، تان زوميتان، بينما يعد مرتفع تفيديست بالهقار من أغنى الأماكن بالرسوم و النقوش بالإضافة الى مواقع أخرى بالقرب من مدينة تمنراست و ما يمكن الجزم به أن الرسوم الصخرية كانت لهدف ما ، وأنها لم ترسم من باب العبث، إنها عمل بديع ترجمته إرادة لخلق رسوم دائمة تسجل أحداث تنطق عبر الزمن و إنطلاقا من ذلك سأحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على جوانب من تطور هذه الرسوم من البدايات الأولى و الى غاية ١٠٠٠ قبل الميلاد.

**١/- الملمح الجغرافي للطاسيلي- الهقار:**

**١/١- الصحراء الوسطى:**

وتقع تقريبا بين خطي طول ١٠°شرقا و٥° غربا ، وبين دائرتي عرض ٣٣° و١٧°شمالا،[١] و هي تمتد من السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي الى غاية جنوب الأدرار إيفوراس و جنوب مرتفعات آير[٢]، فالصحراء الوسطى تشمل كل الصحراء الجزائرية و الجنوب التونسي[٣] و مرتفعات أدرار إيفوراس بمالي ومرتفع آير بالنيجر[٤] و ثمة مساحات منها على الهامش في كل من تونس ومالي والنيجر لا تدخل ضمن الإطار المكاني لدراستنا الذي لايتجاوز الحدود السياسية للصحراء الجزائرية.

**١/٢- مرتفعات الجنوب الشرقي الجبلية ( الهقار- الطاسيلي):**

تعتبر كتلة الهقار المحاطة بهضبة الطاسيلي مركز وسط الصحراء الكبرى،[٥] تبلغ مساحتها ٣٠٠٠٠٠ كلم$^2$،و متوسط إرتفاعها١٠٠٠م وكان كونراد كيليان أول من نشر رسم تخطيطي لمعالم الهقار والنطاق الطاسيلي الدائر بها سنة

(1)A . Berthelot , l'Afrique saharienne et soudanaise,les arts et le livre ,paris,1927,p19.
(2)R.Furon. le sahara(géologie,ressources,minérales) , payot , paris , 1964, p21.
(٣)صلاح الدين علي الشامي و فؤاد محمد الصقار، جغرافية الوطن العربي الكبير، الإسكندرية، منشأة المعارف، لا تاريخ الطبع، ص ص ١١٤-١١٥.
(4)R .Furon, op cit, p 21.
(5)A.Berthelot, op cit , p 24.

١٩٢٢م[٦] وتعتبر الآتاكور قلب الهقار،إذ إتخذت شكل القبة التي تعلوها الطفوح البركانية وتراكم الافا و هي أكثر أجزاء تلك الكتل الهضبية إرتفاعا فإرتفعت بعض قممها البركانية إرتفاعا ملحوظا، مثل تاهات ٣٠٠٦م وقمة إيلمان ٢٧٣٢م وأزيكرام ٢٧٢٨م ،وتنحدر هذه الكدية بشدة صوب الشرق والجنوب.[٧]

ويحف منطقة الهقار من الشمال والشرق و الجنوب الإنجرافات الواضحة المتمثلة في حواف النطاق الطاسيلي القديم المتكون من مرتفعات متدرجة نزولا الى الخارج ، أما الى الداخل فهي ترتفع تدريجيا ،و بهذا تنقسم الى قسمين ،طاسيلي داخلية و أخرى خارجية ،و بلإتجاه غربا يبدأ النطاق الطاسيلي في الإختفاء،[٨] و أهم مناطق هذه الصحراء الجبلية هي:

_ طاسيلي الجنوب و تقع جنوب الهقار ، و هي إمتداد للنطاق الطاسيلي المحيط بها ،تفصلها مساحات الرق المتكونة من الحصى و الأحجار الرملية تتخللها رؤوس جبلية مدفونة في الرمل والحصى مثلما هو الحال في عين قزام.[٩]

_ الآتاكور وتوابعها بإعتبارها رأس الهقار ووسطه يصل إرتفاع سطحها الى ١٠٠٠م ، وتمتد الى الجنوب الشرقي عبر مرتفع ريفسا ،ثم جنوب الجنوب الشرقي ، حتى حواف الرق بها قمة تاهات ، كما تبرز بها فوهات البراكين القديمة الى إرتفاع ٤٠٠م فوق سطح الهضبة القديمة [١٠] أما آناحف فهي سلسلة طويلة من الهضاب المتصلة الى الشرق من الآتاكور و تمتد من الشمال الى الشمال الغربي للمرتفعات وجنوب جنوبها الشرقي والى غاية منخفض سروانوت الفاصل بين الهقار و الآجر.[١١]

_ تعتبر تنزروفت أشد الجهات قحولة فهي الصحراء بمعنى الكلمة تقع غربي الكتلة الوسطى بين أحنات و أدرار الإيفوراس، يبلغ عرضها ٥٠٠كلم تنعدم بها الحياة النباتية والحيوانية فهي صحراء الصحراء[١٢] أما الأمادرور فتمتد

---

(6)R.Furon, op cit , pp 91-92.

(٧) محمد السويدي، بدو الطوارق بين التغير والثبات، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦، ص ١٠٨.

(8 ) H.Cuny , les déserts dans le monde , payot , paris ,1961. P175.

(9)H.Lhote, Les Touaregs du hoggar ,payot ,paris, 1955, p 28.

(١٠)جمال الدين الديناصوري وآخرون، جغرافية العالم، ج٢، ( إفريقيا وأستراليا ) ، القاهرة، المكتبة الأنجلومصرية، بدون تاريخ، ص ٢٨٠.

(11) H.Lhote, Les Touaregs du hoggar , op cit, p 20.

(12)E.f.Gautier, Mission au sahara, t1,( sahara algérien ) , librairie armand colin , paris , 1908, pp,14-15.

هضبة الأمادرور شمال كتلة الآتاكور إنها رق صحراوي لا أثر للماء أو النبات فيه مشهورة بسبخة الملح المتواجدة بها.[١٣]

_ بينما تمتد طاسيلي الناجر من وادي إغرغار الى غاية فزان بليبيا، يتراوح عرضها من ٦٠ الى ١٥٠كلم ،أما إرتفاعها فيصل الى ١٢٠٠م[١٤]، أما سلسلة أحنات فهي عبارة عن سلسلة أرجوانية تقع شمال غرب الهقار على الإمتداد الجنوبي الشرقي و هي تمتد ٢٠٠كلم من جنوب الطاسيلي الى غاية أمقيد بعرض ١٠ الى ١٥ كلم ،على شكل حذوة حصان يبلغ إرتفاعها ٦٥٠م، وبهذا الإرتفاع المنخفض ترتبط بجارتها تنزروفت.[١٥]

**٢/- تعريف الفن الصخري و الجداري عامة:**

ليكون العمل فني لابد أن تتوفر فيه شروط و مقاييس علمية معينة تولد فينا إحساسا بالجمال و هالة نفسية تشعرنا بالارتياح. نحكم عليها جميعا بكلمة (فن).

إذا فالعمل الفني هو ذلك العمل الجمالي الذي يثير فينا إنفعالا خاصا يترجم في إحساس عاطفي و ذوقي و نشوة و تحرر الخيال نستمتع به نفسيا و حسيا من خلال إدراك مضمونه الجمالي في حواسنا المادية هذا بغض النظر عن المستوى الجمالي للعمل و مدى اختلافنا حول ذلك فيمكن لعمل فني معين أن يراه أحدنا بشعا بينما آخر يراه رائعا لكن صفة الفن موجودة فيه باعتباره عملا فنيا يخضع لشروط و مقاييس ترتقي به إلى درجة الفن. [١٦]

**ماهية الرسوم الصخرية خاصة:**

هي تلك العلامات التي يتركها الإنسان البدائي القديم في عصور ما قبل التاريخ على الصخر الطبيعي وهي في حد ذاتها على نوعين :

النقوش الصخرية وتعنى الحز الذي يتركه على سطح الصخر وتتم عبر إزالة القشرة الخارجية للصخر بالحفر و الكشط حتى تظهر الطبقة الداخلية الصلبة للصخر و يتم في حالات نادرة تلميع أو تلوين هذه الخدوش أما في أكثر الحالات تترك دون تلوين فتأخذ اللون الطبيعي للصخر.

الرسم التصويري وهي عبارة عن لوحات مرسومة على جدران المخابئ والكهوف تلون بالأصباغ والمغرة يستخدم لذلك الفحم النباتي والجبس والأحجار

---

[١٣] جمال الدين الديناصوري وآخرون ، المرجع السابق ،ص ٢٨١.

[14] H.Lhote, Les Touaregs du hoggar , op cit ,p26.

[15] R.Furon, op cit , p 103.

[١٦] كلايف بلل، الفن، ترجمة: عادل مصطفى ، مراجعة و تحقيق:ميشيل ميتياس(ط١) القاهرة، رؤية للنشر و التوزيع . ٢٠١٣ ، ص ص ٠٨ -١١.

المعدنية كالهيماتيت (حجر الدم) و المنغنيز وغيرها من الأكاسيد المتنوعة،و قد يكون استخدمت في عملية الرسم الفرشاة المصنوعة من الشعر أو من أعواد كذلك يتم تلطيخ اليد بالمادة الملونة وطبعها على الجدران.

اصطلح على تمسية هذا الفن بالرسم الصخري لأول مرة في عام ١٩٥٩ حيث نعت بعد ذلك بعدة أسماء منها الفن الصخري و النحت الصخري و الرسوم الصخرية (وهي الشائعة حاليا )والفن الجداري وغيرها من المسميات الأخرى الأقل شيوعا و فن الرسم على الكهوف و الجدران غير مقتصر على أوروبا لوحدها بل منتشر في جميع أنحاء العالم وتشتهر به مناطق في جميع القارات ما عدى القارة القطبية الجنوبية التي ينعدم تواجده بها.[١٧]

**٣/- أماكن تواجد الرسوم الصخرية ببلاد المغرب العربي:**

- رسوم بمنطقة الطاسيلي (الجزائر).
- رسوم بمنطقة الجنوب الوهراني(الجزائر).
- رسوم بمنطقة عين الصفراء(الجزائر).
- رسوم بمنطقة البيض(الجزائر).
- رسوم بمنطقة آفلو(الجزائر).
- رسوم بمنطقة تيارت(الجزائر).
- رسوم بمنطقة بوسعادة(الجزائر).
- رسوم بمنطقة الجلفة (الجزائر).
- رسوم بمنطقة قسنطينة (الجزائر).
- رسوم بمنطقة تاغيت (الجزائر). [١٨]
- رسوم بمنطقة فزان(ليبيا).
- رسوم بمنطقة لفقيق (المغرب). [١٩]

---

[١٧]مصطفى صادق علي أزهري، مقرر أثر ٢١٢( الرسوم الصخرية في المملكة)، ج١، الرياض، كلية السياحة و الآثار، جامعة الملك سعود،١٤٣٣، ص ص ١-٢.

[18]wikipedia, Gravures rupestres de la région de Figuig. [Enligne]. https://fr.wikipedia.org/wiki/Gravures_rupestres_de_la_r%C3%A9gion_de_Figuig, (30/12/2007 ).

[19]Ibid.

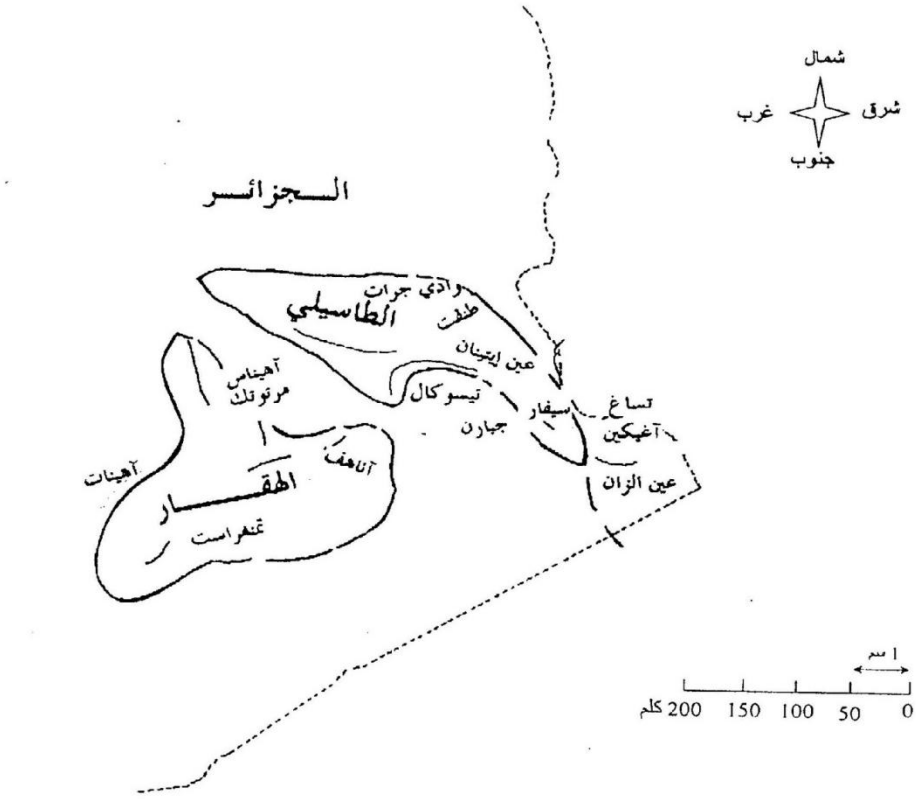


خريطة تبين توزع الرسوم الصخرية (بمنطقة الطاسيلي).

المرجع: محمد الصالح بوعناقة ، فن الرسوم الصخرية في الجزائر بين الدافع ، التقنية و المراحل، ص 16.

## ٤/- إكتشافات الرسوم الصخرية بالجزائر:

منذ اكتشاف الرسوم الصخرية من قبل الأروبيين في نهاية القرن ١٩ م بالجزائر تبعتها اكتشافات ودراسات أخرى عديدة بعد ذلك حيث كان الهدف من ذلك وضع كرونولوجيا نسبية لهاته الأعمال الفنية. (٢٠)

حيث يتجاوز عدد الرسوم الصخرية بالطاسيلي و النيجر خمس عشرة ألف رسم وكأن المرء أمام متحف طبيعي للفنون الجميلة .لقد كانت الرسومات الصخرية معروفة منذ زمن طويل فأول من أشار إليه المكتشف هنري بارت الذي عبر الصحراء بين سنوات ١٨٤٩-١٨٥٥م وكذلك بعض الرحالة الذين عبروا الصحراء بعد ذلك أشاروا إليها من بعيد دون تفصيل،و لقد قام الجيولوجي فلامون

(20)M.Tauveron, l'art parietal des Tetes rondes problémes de synchronisme chronogique, Libyca.T 32-33-34, 1984,1985,1986,C.N.E.H, Alger, ,.pp159-173.

(G.B.M.Flamand) بجولة طويلة في مناطق الجنوب الوهراني فلفت انتباهه النقوش و الرسوم على الصخور الموجودة في تلك المنطقة لكن وافته المنية سنة ١٩٢١م قبل أن يصدر مؤلفه حولها.

كذلك تمت عدة دراسات أخرى حولها مثل فروبينوس (Frobenius) و ألقس برويل (Breuil) وكذلك الدراسات و الأعمال الرائعة المتألفة لهنرى لوت (H.Lhote) الذي كرس حياته لدراسة الرسوم الصخرية و الذي نشر بدوره عدة مؤلفات حولها ويرجع تقريبا له تصنيفاتها وتفصيلاتها وأقسامها. (٢١)

ففي الطاسيلي ناجر توجد محطات الرسوم الكبرى في أعالي الهضبة الواقعة شمال وشمال شرق مدينة جانت و نذكر منها صفار ، جبارن ، تامريت، تان زوميتان، بينما يعد مرتفع تفيديست بالهقار من أغنى الأماكن بالرسوم و النقوش بالإضافة الى مواقع أخرى بالقرب من مدينة تمنراست.

**صعوبة التأريخ :**

السؤال الذي يطرح نفسه بشدة كيف أستطاع المختصون تحديد عمر هذه الرسومات الصخرية التي تكون أحيانا على نفس الجدار الصخري بينما تفصل بينها آلاف السنين ، فهناك الكثير من التقاليد القياسية التي أرساها كبار العلماء للجدار المنقوشة و في دراساتهم للفن الصخري عموما في مراحله الأولى واجتهد العلماء كذلك في إيجاد طرق لتأريخ أخرى مثلا هناك الكربون المشع ١٤ و الذي لا يؤدي في مثل هذه الحالات النتائج الدقيقة المرجوة منه لذلك يلجأ المختصون الى طرق أخرى أهمها :قياس الرسوم بالطبقات الأركيولوجية المحاذية لها والتي يسهل تأريخها وبالتالي ربطها زمنيا بها فالبقايا الموجودة بالكهف لها علاقة وطيدة بالأشخاص الذين رسموا بهذا الكهف لا محالة وهذه الطبقات و التي تفصل بينها آلاف السنين أحيانا مرتبطة بمراحل الرسوم الصخرية في أزمانها المتعددة في الكهف الواحد.

أما الطريقة الثانية فتتم بدراسة توضع الرسوم أي التميز بينها بحيث نستطيع أن نري بأن هناك خطوط أقدم من خطوط أخرى عبر طبقة دقيقة جدا بينهما نتجت عبر مئات أو ألاف السنين.(٢٢)

---

(21)H.j.Hugot , le sahara avant le désert, Editions des hespèrides, Paris , France , 1974 , p 238.

(22)H.J.Hugot, Op.Cit , pp 240 - 241 .

و حسب ج.ماتر (J.Maitre) فإن هذه الرسوم بالمرتفعات الجنوبية الشرقية، ترجع في قسمها الأول حسب الترتيب الكرونولوجي الى الفترة النيوليتية الصحراوية و قسم منها الى الفترة التاريخية، حيث أن ظهورها الأول كان مع موجة النازحين الصيادين السودانيين الى المنطقة (الذين سكنوا جنوب غرب الهقار) حوالي ما بين الألف السابعة و الخامسة قبل الميلاد.[٢٣]

لا توجد رسوم صخرية بالصحراء سابقة للفترة النيوليتية على الأطلاق ، إذ يبدو أن أول هذه الرسوم ترجع بالتقريب الى الفترة ما بين ٥٠٠٠ و ٤٠٠٠ قبل الميلاد، إذ تم وضع أطرها الزمانية، عن طريق ربطها بتواريخ الصناعات الحجرية المتوضعة بقربها.[٢٤]

**مراحلها :**

- لا شك أن جبال الطاسيلي قد ولت أناسا موهبين عرفوا كيف يوصلون روح عصرهم عبر الزمن من خلال هاته الرسوم الصخرية الجميلة و التي صنفت حسب أشهر أنواع الحيوان المتواجد في رسومات كل حقبة أما أهم المراحل التي مرت بها فهي :

- مرحلة الجاموس، أو (الحيرم) أو (الصيادين) من ٥٠٠٠ أو ربما ٦٠٠٠ الى غاية ٢٥٠٠ ق.م.و لا أثر هنا لإستئناس الحيوانات في الرسومات ماعدا الكلب الذي يرافق الصيادين.
- مرحلة الرؤوس المستديرة لم يتمكن العلماء من وضع أطر زمنية لفترة ذوي الرؤوس المستديرة فهناك من يرى بأنها معاصرة لأواخر عصر الحيرم (الصيادين) بينما يرى البعض الآخر أنها معاصرة لمرحلة رعاة البقر أو آتية بعدها.ولحد الساعة لا يوجد اتفاق واضح حول حدود هذه الفترة الزمنية التي إتسم أسلوب الرسم فيها بالحجم الكبير و اكتظاظ المشاهد.[٢٥]
- مرحلة البقريات أو الرعاة من ٣٥٠٠ الى ٢٠٠٠ ق.م.
- مرحلة الحصان أو العربات من ٢٠٠٠ الى٣٠٠ ق.م.
- مرحلة الجمل من ٣٠٠ ق.م الى ٤٠٠ م. [٢٦]

---

[٢٣]محمد الصالح بوعناقة ، فن الرسوم الصخرية في الجزائر بين الدافع ، التقنية، المراحل، رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، إشراف عبد العزيز بن لحرش ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة قسنطينة ، ٢٠٠١، ص ٣٨.( مخطوطة).

[24]H.J.Hugot, Op.Cit, P 244.

[٢٥]صالح عبد الصادوق، الفن الصخري في شمال افريقيا، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية، ص ١٦.

[26]_Tassili.[Enligne],http://www.el-mouradia.dz/francais/algerie/histoire/tassili/ALG-tassili. htm,(02.07.2017).

**١. مرحلة الجاموس: (Bubale) :**

و تسمي أيضا مرحلة (الحيرم) وهو جاموس إفريقي قدم من فصيلة أحفورية وهذا تمييزا له عن الجاموس الحالي [٢٧] وهناك من يسميها بمرحلة (الصيادين) وأغلب الحيوانات التي رسمت خلال هذه الفترة تابعة للفصيلة الإيثيوبية منها الجاموس، الفيل،الكركدن، الزراف، التماسيح، النعام وحتى الأسماك أحيانا أما إنسان هاته المرحلة فقد رسم صيادا يتدلى وشاح من خصره مغطيا عضوه الجنسي و ينتهي بذيل و قناعا على وجهه يشبه رأس ابن آوى أو رأس الكلب ، و كان البومرانج من أشهر أسلحتهم. [٢٨]

**المحطات العائدة لفترة الجاموس بالهقار:**

في الهقار الشمالي نجد محطة وادي إحتس رسم بها وحيد القرن ومحطة وادي يتمكتين التي رسم بها الزراف ومحطة آهور ،وعين عنسيس ،و وادي سارس ،وإيدلس ،وحارفوك هذه الأخيرة رسم بها الزراف و النعام ومحطة وادي ديهين ،و تمدوين ،وتين عكريت ،ووادي أمزارا، و تليلان، و عين أكولمو ،و عين عكر ،و توريرت ، و آراك ، و تاجموت، و تسنو ،وادي طاريت ،فم الزقاق ،إيدكل، اونغهن ،يابايا ،توكين ،تمنراست (٣). [٢٩]

أما في الهقار الجنوبي نجد محطة وادي القنار التي رسم فيها الفيل بعرض ٨٠سم وهي تقع ١٨ كلم غرب تمنراست كذلك رسم الفيل والزراف بوادي تسناوين ومحطة عامررو، وأمساره، وتين عضارا، وإحليف، وإسيلان، وتزروك ،وأوفك هذه الأخيرة (محطة أوفك) رسم بها الحيرم، الجاموس القديم، و وحيد القرن،و ٨ زرافات وعدد كبير من ذكور البقر. [٣٠]

**تقنية الصيد:**

استخدم الصيادون من خلال الرسوم القوس و السهم و استخدمت أقنعة حيوانية حتى يستطيعوا الاقتراب من الحيوان الى قدر ممكن و من ثم الإمساك به و تتم عمليه الصيد من قبل جماعات فيما بينها أي أن الصيد لم يكن فردي وأحيانا يتم

---

[٢٧] حفيظة لعياضي، المكنون الحضاري للتاسيلي نزجر،مجلة منبر التراث الأثري، جامعة تلمسان، العدد ٠٤، ديسمبر ٢٠١٥، ص ص ١٤-١٦.

[٢٨] صالح عبد الصادوق، المرجع السابق، ص ١٦.

[29] P.Huard,et J.Petit, Les Chasseurs-Graveurs du Hoggar, Libyca ,T. 23 ,1975, C.R.A.P.E, Alger ,pp 135-156.

[30] Ibid ,p156.

بكلاب الصيد (السلوقي) ويتم الصيد أحيانا بالرمح الطويل (المحراب) وكذلك بالفخاخ ومباغتة بعض الطيور كالنعام في أعشاشها وإطلاق السهام عليها.

**رسومات ذات طابع ديني :**

في وادي إحتس يوجد رسم منقوش لحيوان كبير بطول ٥ متر بدون رقبة (لا رقبة له) غير واضح المعالم وبالتالي لا نعرف كنهه والرسم في حد ذاته غير منتهي ربما عن قصد، رأسه عبارة عن قرص له قرنان معكوفان ولا يشبهان قرون الأبقار دون رسم الحواس و الأعضاء على وجهه.

كذلك حال رسم بوادي جراد يمثل تقريبا فرس النهر وكذلك حيوان فوق رأسه نصف قرص ومنقط بنقاط بيضاء بالأكاكوس هذه الأخيرة ربما حسب تحليل موري(Mori) يرفع الى فترى الرؤوس المستديرة أو الشكل قريب جدا للأبقار وتظهر أمام شخص يرفع يديه وكأن الأمر يتعلق على الأرجح بطقس تعبدي .

ففي بعض رسومات صخرية أخرى ترجع لعصر الصيادين وجد أسد بفزان و الزراف بالطاسيلي أو وحيد القرن في جادو أو فرس النهر بالتبستى كل هذه الرسومات وضع على رأسها القرص وهذا ما يأكد فرضية أن الأمر يتعلق بطقس تعبدي مرتبط بعقيدة عبادة الحيوان أو قرص الشمس. (٣١)

**٢. مرحلة الرؤوس المستديرة:**

تعتبر طور قديم جدا ربما عاصر أواخر عهد الصيادين و لقد أطلق عليه طور الرؤوس المستديرة لأنها تصور أشكال أشخاص أجسامهم ملتوية ورؤوسهم مستديرة وكأنهم أشباح أو كائنات أسطورية يرتدون تنورة تغطي أجهزتهم التناسلية ويبدو أن هذه الفترة كانت طويلة كما أن أناسها كانوا زنوج ولو أنهم أحيانا رسموا الأشخاص باللون الأبيض (الذين هم في العادة كهان) و نموذج الرؤوس المستديرة موجود حتى في خارج الطاسيلي و في المناطق المجاورة كـ (الأكاكوس) و(الإيندي) .وحسب ف. ماري (F.Mori) فإن أسلوب الرؤوس المستديرة ظهر مبكرا وانتهي قبل الألف السابعة قبل الآن ودام فترة طويلة جدا والدليل على ذلك الحجارة النيوليتية المصقولة المنتمية للنيوليتي الصحراوي السوداني.(٣٢)

كذلك <<...كانت نسبة رسم الإنسان في فن الرؤوس المستديرة ٧٥% بالإضافة إلى أن ٠٥ % من هذه الرسوم لها خصائص حضارة الصيادين كذلك توجد لها

---

(31)Ibid,p157.

(32 ) G.Camps, Les civilisation préhistoriques de l'Afrique du nord et du sahara ,éd doin , paris,1974,pp258, 259.

مؤثرات تدل على استئناس الحيوانات ،كما توحى بعض العناصر الأخرى بنقوش مثل الحيرم(الجاموس القديم الأحفوري) وحيوانات أخرى كالظباء والوعول...>>.[٣٣]

### ٣. مرحلة البقريات أو (رعاة الأبقار) من ٣٥٠٠ الى ٢٠٠٠ ق.م:

لقد ترك هؤلاء الرعاة البقارة عدد معتبر من الأعمال الفنية الرائعة بالطاسيلي إن لم نقل الأكثر عددا من الرسومات الجميلة ويبدوا الاختلاف واضحا جدا بينها وبين رسومات ذوي الرؤوس المستديرة فالرعاة البقارة رسموا بالقرب من قطعان الماشية ببشرتهم السوداء القانية وشعورهم المجعدة وشفاههم الغليظة في الغالبية العظمى من الرسومات العائدة لهاته الفترة وإن وجد الى جانبهم أحيانا أشخاص بيض مما يدفع الى فرضية أن البيض هو السادة الفعليون لهذه القطعان بينما السود هم العبيد الذين يهتمون بأمور الرعي.[٣٤]

هناك امتداد جغرافي معتبر للطور الحضاري النيوليتي لرعاة البقر فهو موجود بالطاسيلي ناجر وفزان وتفيديست حسب غبريال كامبس كذلك تكلم هنري لوت عنهم عند الأطلس الصحراوي أما ج. أوماسيب فرأت أن امتدادهم الحضاري وصل الى التينيري فرعاة البقر هم شعوب تشترك في رسمها لقطعان الأبقار التي كانت تمتلكها وتعيش عليها على جدران الكهوف وسفوح الجبال بالطاسيلي الناجر فما كان من الأب القس بريال (Breuil) الا أن أطلق عليها اسم الرعاة البقارة سنة ١٩٥٢م وهذا الاسم أعجب في ما بعد الباحث الكبير في شؤون الرسوم الصخرية بالصحراء السيد هنري لوت (H.Lhote).

---

(33)M.Tauveron, l'art parietal des Tetes rondes problémes de synchronisme chronogique Libyca.T 22-23-24, C.N.E.H, Alger,1984,1985,1986,.pp159-173.

(34)G.Aumassip,et G.Quechon, Bovidien et Tenereen, Libyca ,T. 35 ,1998, C.N.R.P.A.H,Alger ,pp 113-114.

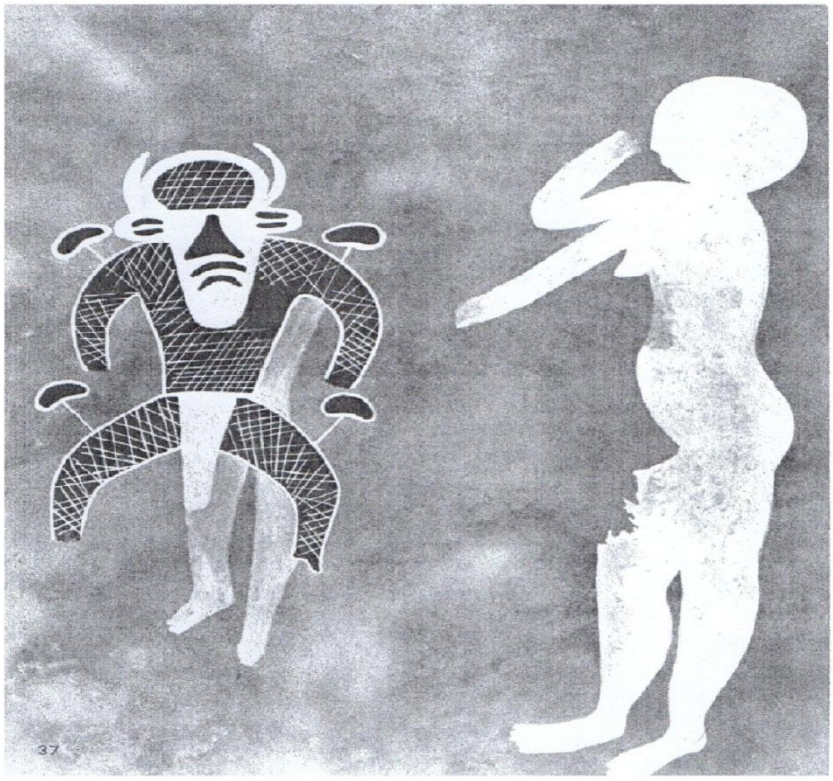

القناع الزنجي (أونهارت) رسم يرجع لمرحلة الرؤوس المستديرة.

المرجع:.Henri.Lhote, A la découverte des fresques du Tassili,p90

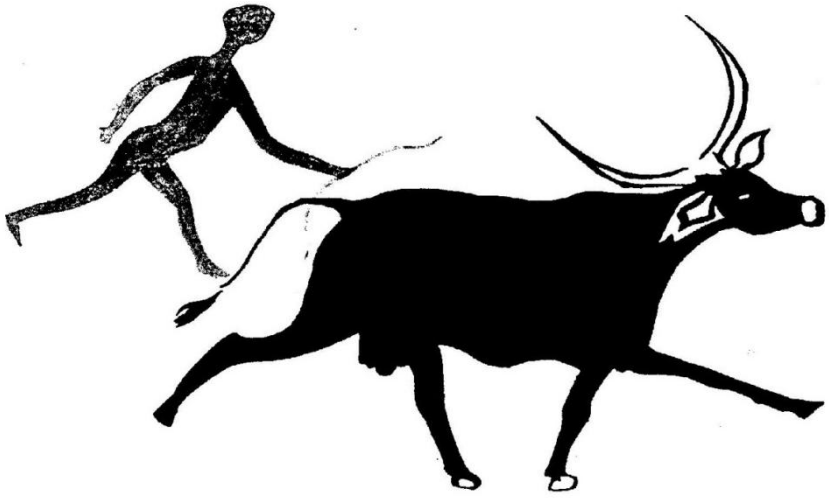

مشهد يمثل راع و بقرة يرجع لمرحلة رعاة الأبقار ( تين أبوتيكا ).

المرجع:.H.j. Hugot, Le Sahara avant le désert,p 177

و الفن البقري في العادة ينتمي للمدرسة الطبيعية وهو ذو مسحة حركية فمشهد البقر موجود غالبا رفقة الرعاة و أحيانا تعوض الأبقار بالماعز و الضأن في شكل قطعان يرافقها الراعي كذلك ،أما الباحث هنري .لوت فقد قسم رسومات الرعاة البقارة الى عدة أساليب مختلفة خاصة بين رسومات البقارة بالأطلس الصحراوي و بين رسومات البقارة بالطاسيلي مختلفة بكيفية رسم القرون وبعض الأعضاء الأخرى من جسم البقر. (٣٥)

**٤. مرحلة الحصان و العربات من ٢٠٠٠ الى٣٠٠ ق.م.**

يرى موري (Mori) أن دخول العربة الحربية التي تجرها الخيل الى المنطقة كان في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ويبدوا أن هذا الحكم صائب الى حد كبير على أساس أن الهكسوس (الملوك الرعاة) دخلوا مصر ١٧٥٠ق.م وهم الذين أدخلوا هذا النوع من العربات المجرورة بالحصان الى مصر و من ثم انتشرت في كامل الصحراء الكبرى. (٣٦)

<<... و يقول عنهم هنري لوت: انهم يتميزون عن رعاة البقر ببدلتهم التي أصبحت عبارة عن لباس ضيق على مستوى الخصر ومتسعة في أسفله على شكل جرس ،كما يتميزون عنهم بتركهم للقوس واستعمال الرماح و الخناجر المعلقة والأتراس و الأبواق وبكونهم عرفوا تربية الكلاب وطقم الخيول الى العربات أو ركوبها... >>(٣٧)

هي عربات يجرها حصانان أو أربعة أحصنة، و لقد ظهرت هذه العربات قبل الحصان على ما يبدوا من الرسوم حيث كانت تجرها الثيران مما يدل على أسبقية العربة في المنطقة عن الحصان هذا الأخير استقدم الى بعد انتهاء عصر الرعاة البقارة ، و تبقى الكثير من الأسئلة المطروحة حول صنع العربات التي هي في العادة تكون مصنوعة من الحديد بينما نحن هنا أمام رسومات نيوليتية متأخرة أو حتى بداية عصر المعدن لكن يبدوا أن الحديد في المنطقة مازال لم يكتشف على ما يبدو بمعنى أنها ربما صنعت من النحاس أو أنها مصنوعة من الخشب لكن المهم أن العربات وجدت منذ ١٥٠٠ق.م.(٣٨)

---

(35)Ibid,p114.

(٣٦)محمد الطاهر العدواني، الجزائر في التاريخ، ج١، ( الجزائر منذ نشأة التاريخ )، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤ ، ص٢٤٩.

(٣٧)صالح عبد الصادوق، المرجع السابق، ص ١٦.

(38 ) H.j.Hugot ,Op.cit. PP 278-280.

أما سائقي العربات فهم غالبا رجال مسلحون بالرماح وفي حالات نادرة تكـــون النساء على العربة ورسمت في هذه المرحلة حيوانات مثل النمور والأسود والنعام والكلاب.[٣٩]

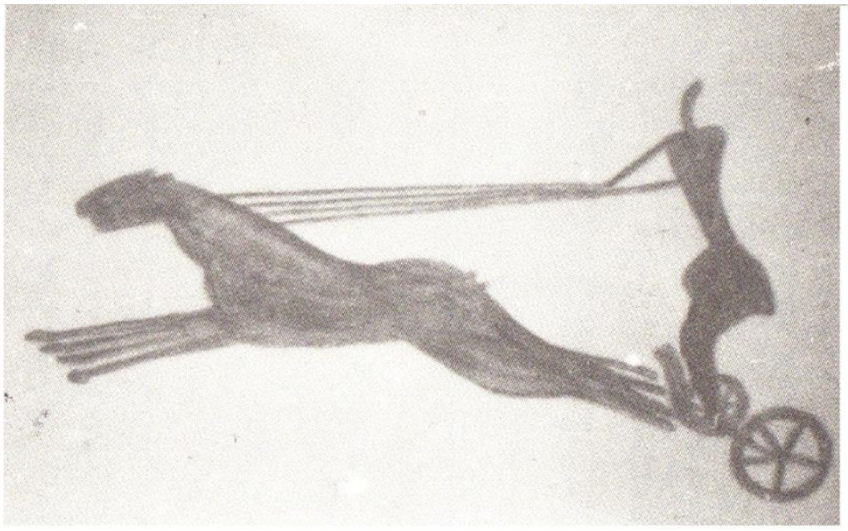

مشهد لعربة يجرها زوج من الأحصنة ( الطاسيلي).

المرجع: محمد الطاهر العدواني الحروب و الأسلحة في عصر ماقبل التاريخ، ص 59.

**٥. مرحلة الجمل من ٣٠٠ ق.م الى ٤٠٠ م:**

دخل حيوان الجمل ذو السنام الواحد المشهد الصحراوي ومن ثم أخذ مكانه في آخر طور من مراحل الرسوم الصخرية بالطاسيلي النـــاجر خصوصـــا وعمـــوم الصحراء ككل.

لقد تم إجتلابه من آسيا إلى مصر بعد الفتح الفارسي لها سنة ٥٢٥ ق.م ففـــي خلال العصر الهيلنستي بمصر استخدم الجمل كدابة للركوب ثم بدأ الحـــديث عـــن قوافل الجمال تجوب صحراء جزيرة العرب وصحراء ليبيا لكن الغريب أن انتشاره نحو باقي بلاد المغرب و باقي الصحراء كان بطيئا جدا. [٤٠]

ويبدوا أنه بالموازات مع ذلك أي مع انتشاره على طول المتوسط الإفريقي فقد تم استخدام الجمل كذلك في النوبة والسودان وتشاد (في الإيندي) ومن ثم ربما إنتقل بسرعة إلى الصحراء الوسطى و الجنوبية عبر هذه الطريق.

---

[٣٩] محمد الصالح بوعناقة ، المرجع السابق ٢٠٠١، ص ٣٨.

[40] H.j.Hugot ,Op.cit. P 294.

يبدو من خلال الرسومات الصخرية للجمل بالطاسيلي أنه كان يركب ويستخدم من قبل أشخاص خشنين مع اختفاء تام لقطعان البقر وهذا راجع لتسارع وتيرة الجفاف وتغير المناخ واختفاء السفانا وزحف التصحر على المنطقة نهائيا ومن ثم اختفت الحشائش والمراعي ونقاط الماء التي تعتبر ضرورية لبقاء الأبقار. (٤١)

أما أسلوب الرسم في مرحلة الجمل فقد ابتعد عن التقاليد الطبيعية التي كانت سائدة في مرحلة البقارة الرعاة أو المميزات الهندسية في مرحلة الحصان، في هذا الطور أصبح الأسلوب يميل إلى وضع الخطوط بعيد عن الحياة و الحركة والتهذيب في نفس الوقت غير مطابقة للرسم البدائي الأول ولا مع رسومات الأطفال الصغار ليس فيها روح وخالية من التعابير.

ويبدوا أن بعض المشاهد رسم فيها الجمل إلى جانب الحصان ربما لتزامنهم في مرحلة زمنية محدودة جدا في بداية طور الجمل مع نهاية طور الحصان بالإضافة الى امتلاك راكبي الجمل والحصان وبعض الأسلحة كالرمح أو السيف أحيانا. (٤٢)

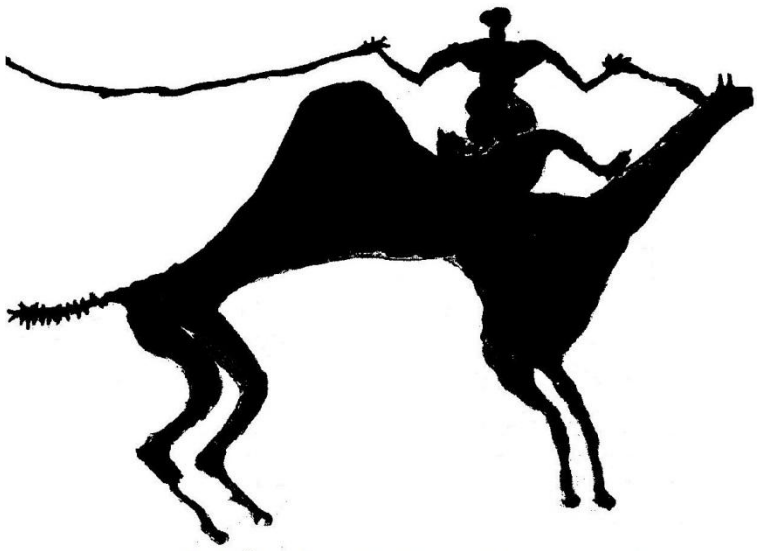

إحدى رسوم ( تين رسوتين)ترجع لمرحلة الجمل.

المرجع:.H.j. Hugot, Le Sahara avant le désert,p 296

(41)Ibid. P296.
(42 ) Ibid. P297.

**العلاقة مع مصر:**

حسب العالم في شؤون ما قبل التاريخ الصحراوي ه.هوجو H.J.Hugot فإن الكثير من النقاشات والآراء المتعارضة حدثت ما بين علماء ما قبل التاريخ حول التأثير و التأثر (الصحراوي – المصري) الموجود حسب اعتقاد بعضهم في مقوّمات الحياة النيوليتية كالصناعة الحجرية و الفخارية و ممارسة حرفة الرعي و الزراعة و غير ذلك كالرسوم و النقوش الصخرية،هذه الأخيرة هي ما يهمنا في مقامنا هذا.

حيث هناك رأي يرى بأن الرسوم الصخرية الصحراوية العائدة لمرحلة الجاموس (الحيرم) عموما ببلاد المغرب و خاصة بالصحراء الوسطى (الجزائرية) سابقة وقديمة عن مثيلاتها المصرية ولا تحمل أي تأثير مصري يذكر . (٤٣)

الإشكال صعب لأننا اعتقدنا لفترة طويلة وباختلاف جميع الأطراف أن هناك تأثيرات تعود لسلالة الثامنة عشر فنقول بأن هذا التاريخ متأخر جدا يعود إلى منتصف الألف الثانية ق.م ولحد الساعة فالحرفيون والصناع المتواجدون بمصر المتأثرين بالتقنية الصحراوية يظهر تأثرهم من خلال الرسوم الصخرية المعروفة في أعالي مصر أو بنتائج الفخار وهذان الوثيقتان لا تتعديان مرحلة حضارة العمري ( نقادة الأولى) في الفترة حوالي ٤٠٠٠ق.م ٣٥٠٠ق.م.

وإذا ما عرفنا أن بكورة الفن الصخري الصحراوي إنطلقت منذ حوالي الألف السابعة ق.م في الصحراء فلذلك نقر بأن النقوش و الرسوم الصخرية الطبيعية الأولى انتهت حوالي الألف السابعة وعلى ضوء ذلك يكون اتجاه التأثير منطلقا من الصحراء المغاربية نحو مصر وليس العكس . (٤٤)

وبمقارنة الصناعة الحجرية لهذه الجماعات في مصر والصحراء الوسطى الجزائرية نجد الاختلاف واضحا فيما بينها، لكن هذا لا يعني البتة غياب التأثير والتأثر في الفني الصخري عموما بشمال افريقيا أو أن هذه الجماعات كانت معزولة عن بعضها البعض

و هكذا تبقى الدلائل ضعيفة لغياب براهين واضحة عن العلاقات بين رسوم كلا الطرفين ومدى تأثير هذا على ذاك أو العكس وذلك لغياب دراسات متخصصة في هذا المجال .

(43)H.J.Hugot, Op.cit. , p 245.
(44)H.J.Hugot, Op.cit. , p 246.

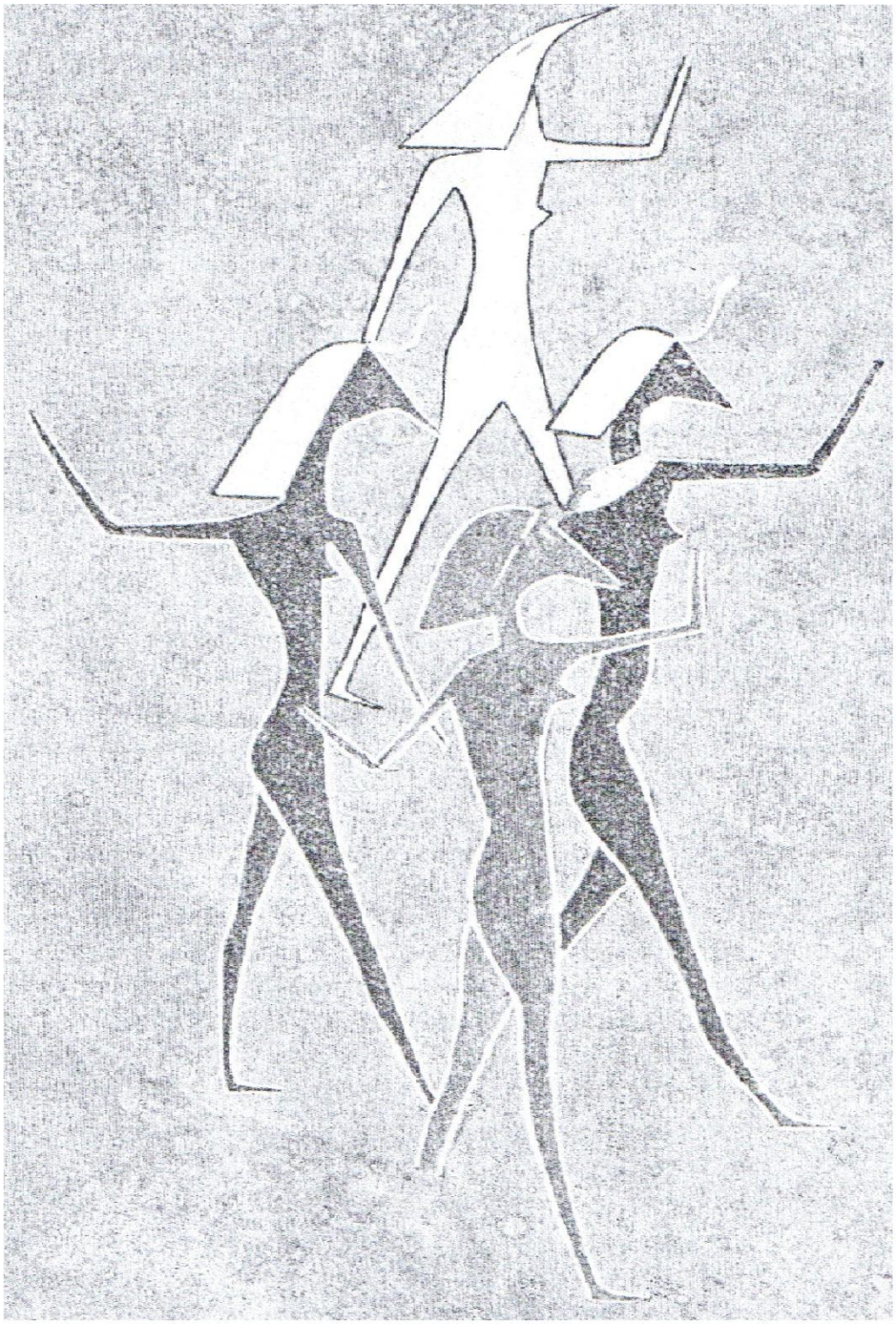

آلهة برؤوس الطير ذات تأثيرات مصرية (جبارن).

المرجع: Henri.Lhote, A la découverte des fresques du Tassili,p25.

**الخاتمة:**

نشير إلى أن الرسم الصخري الصحراوي متأخر جدا من الناحية الكرونولوجية عن نظيره الأوروبي حيث أن هذا الأخير ظهر منذ حوالي ٤٠ ألف سنة، بينما في الصحراء ظهرت الرسومات الطبيعية الأولى للحيرم (الجاموس) على أقصى تقدير منذ ٧٠٠٠ أو ٦٠٠٠ سنة خلت .

الرسوم الصخرية بالطاسيلي هي عبارة من مكتبة مفتوحة نستطيع من خلالها التعرف على مختلف نواحي الحياة كصناعة الحجارة و الفخار و الحلي وأنماط الحياة وتطور الشعوب التي مرت بالمنطقة وأنواع الحيوانات المستأنسة و حتى تطور الحياة الدينية و الإجتماعية.

بعد العثور على الرسوم الصخرية توالت الإكتشافات بطرق غير منظمة حتى سنة ١٩٥٦ ، إذ تم تعيين الباحث الفرنسي هنري.لوت (H.Lhote) على رأس بعثة علمية للقيام بدراسة الرسوم الصخرية بالصحراء الوسطى الجزائرية و من المناطق التي حضيت بدراسة وافية على يده كانت منطقة وادي جرات و الطاسيلي ناجر، بالإضافة الى بعض المواقع الأخرى بمرتفعات الهقار.

نلفت الانتباه الى وجوب حماية هذا الإرث الحضاري المغاربي الإفريقي من يد التدنيس و التدمير و الإتلاف و هذا واجب إنساني، كما وجب لفت إنتباه الباحثين و الدارسين و الطلبة الى ضرورة الإهتمام بهذا الموروث الثقافي و ضرورة تكريس دراسات متخصصة إن لم نقل وضع تخصص علمي اثري (خاص بالآثار) و فني (خاص بالفنون الجميلة) وتاريخي (خاص بالتاريخ) و يمكن وضع دراسات خاصة بعلم الاجتماع والإنثربيولوجيا وحتى علم النفس وعلم الحيوان في العصور السحيقة لهذه المنطقة المستنبطة من خلال الرسوم الصخرية بالطاسيلي ، مما يلقي الكثير من الضوء على مكنونات ماضينا حتى نستطيع أن نلتمس لطريقنا النور نحو مستقبل أفضل لنا و لأجيالنا القادمة.

**ثبت المراجع:**

**باللغة العربية:**

- أزهري مصطفى صادق علي ،مقرر أثر ٢١٢( الرسوم الصخرية في المملكة)، ج١،الرياض، كلية السياحة و الآثار، جامعة الملك سعود،١٤٣٣.
- السويدي محمد ، بدو الطوارق بين التغير والثبات ،الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٦.
- الشامي صلاح الدين علي و فؤاد محمد الصقار، جغرافية الوطن العربي الكبير، الإسكندرية، منشأة المعارف، لا تاريخ الطبع.
- عبد الصادوق صالح ، الفن الصخري في شمال افريقيا، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية.
- العدواني محمد الطاهر ، الجزائر في التاريخ ، ج١، ( الجزائر منذ نشأة التاريخ )، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤ .
- كلايف بل، الفن، ترجمة: عادل مصطفى ، مراجعة و تحقيق:ميشيل ميتياس( ط١) القاهرة، رؤية للنشر و التوزيع . ٢٠١٣ .
- لعياضي حفيظة ، المكنون الحضاري للتاسيلي نزجر،مجلة منبر التراث الأثري،جامعة تلمسان، العدد ٠٤، ديسمبر ٢٠١٥.
- محمد الصالح بوعناقة ، فن الرسوم الصخرية في الجزائر بين الدافع ، التقنية، المراحل، رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، إشراف عبد العزيز بن لحرش ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة قسنطينة ، ٢٠٠١.( مخطوطة).

**باللغة الفرنسية:**

_ Aumassip .G,et G.Quechon, Bovidien et Tenereen, Libyca ,T. 35 ,1998, C.N.R.P.A.H,Alger .
_ Berthelot .A , l'Afrique saharienne et soudanaise,les arts et le livre ,paris,1927.
_ Cuny .H , les déserts dans le monde , payot , paris ,1961.
_ Camps .G, Les civilisation préhistoriques de l'Afrique du nord et du sahara ,éd doin , paris,1974.
_ Furon. R, le sahara(géologie,ressources,minérales) , payot , paris , 1964.
_ Gautier. E.f, Mission au sahara, t1,( sahara algérien ) , librairie armand colin , paris , 1908.
_ Hugot .H.j , le sahara avant le désert, Editions des hespèrides, Paris , France , 1974 .
_ Huard .P,et Petit. J, Les Chasseurs-Graveurs du Hoggar, Libyca ,T. 23 ,1975, C.R.A.P.E, Alger .
_ Lhote. H, Les Touaregs du hoggar ,payot ,paris, 1955.
_ Tauveron .M, l'art parietal des Tetes rondes problémes de synchronisme chronogique, Libyca.T 32-33-34, 1984,1985,1986,C.N.E.H, Alger.
_wikipedia, Gravures rupestres de la région de Figuig [En ligne] https://fr.wikipedia.org/wiki/Gravures_rupestres_de_la_r%C3%A9gion_de_Figuig, ( 30/12/2007 ).
_Tassili.[En ligne] ,http://www.el-mouradia.dz/francais/algerie/histoire/tassili/ALG-tassili.htm,(02.07.2017).

# History of rock art in Algeria
# (model of Al-Haqar-Tassili region)

**Dr. mohammed rouchdi Djerraya** •

**Abstract:**

The rock drawings are one of the most important records documented in the life of primitive man in prehistoric times. The historical value of these paintings is distributed to almost all continents.

In fact, there are areas that are unique to these drawings in terms of the number and diversity of the scenes and the succession of generations, races and groups, and here we undoubtedly recall the rock paintings of the Tassili in the Algerian desert, where we consider this region as a museum open to the world.

**Keywords:**

Art, Algeria, rock paintings, prehistoric man, primitive, Al-Haqar-Tassili region, cave walls, caves, desert, bovidian, round heads, Inscriptions, Religious character, Buffalo , Horse and cart.

• **Echahid Hamma Lakhdar University El Oued, Republic of Algeria.**
med.rouchdi@gmail.com